شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلّامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

الدَرْسِ (١٦)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أما بعد؛

فإننا نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسر لنا أن كنا من أهل صلاة الفجر في جماعة في مسجد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنا لنرجو أن نكون في ذمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم يسر لنا أن نجتمع في هذا المجلس نرجو فضل ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نرجو ربنا أن ينعم علينا بها أعده من فضل عظيم لمن قام هذا المقام الكريم أن ينعم علينا بها أعدّه من فضل لمن طلب العلم مطلقًا، وفي المسجد على وجه الخصوص، وفي مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه أخص، ونحن في هذا الدرس نجتمع على تقرير حق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على تقرير التوحيد، حيث نشرح كتاب تجريد التوحيد المفيد للإمام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، المتوفى سنة ثمانمائة وخمس وأربعين من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[المتن]

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ: فَذَلِكَ الْبَحْرِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، فَمَنْ نَوَىٰ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ - تَعَالَىٰ - فَلَمْ يَقُمْ بِحَقِيقَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فإن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هِيَ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فَاسْتَمْسَكَ بِهَذَا الْأَصْلِ، وَرَدَّ مَا أَخْرَجَهُ الْمُبْتَدِعَةَ وَالْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ تَتَحَقَّقُ مَعْنَىٰ الْكَلِمَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

[الشرح]

هذا تقدم شرحه، تقدم بيانه وتفصيله.

[المتن]

فَإِنْ قِيلَ: الْمُشْرِك إِنَّمَا قَصَدَ تَعْظِيمَ جَنَابِ اللهِ - تَعَالَىٰ -، وَأَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ لَا يَنْبَغِي الدُّخُولُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ، كَحَال الْمُلُوك، فَالْمَشْرُك لَمْ يَقْصِدْ الِاسْتِهَانَةَ بِجَنَاب الرُّبُوبِيَّة، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَعْظِيمَهُ، وَقَال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ هذِهِ الْوَسَائِط لِتَقَرِّبُنِي إِلَيْه، وَتَدْخُل بِي عَلَيْهِ، فَهُوَ الْغَايَةُ، وَهَذِه وَسَائِل، فَلِمَ كَانَ هَذَا الْقَدْرَ مُوجِبًا لِسَخَطِ اللهِ - تَعَالَىٰ - وَغَضَبِه، مُخَلَّدًا فِي النَّارِ، وَمُوجِبًا لِسَفْكِ دِمَاءِ أَصْحَابِه، وَاسْتِبَاحَة حَرِيمِهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ؟، وَهَلْ يَجُوزُ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَشْرَعَ اللهُ - تَعَالَىٰ - لِعِبَادِهِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالشُّفَعَاء وَالْوَسَائِط، فَيَكُونُ تَحْرِيم هَذَا إِنَّمَا اُسْتُفِيدَ بِالشَّرْعِ فَقَطْ، أَمْ ذَلِكَ قَبِيحٌ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، يَمْنَعُ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ شَرِيعَةٌ مِنْ الشَّرَائِع، وَمَا السِّرُّ فِي كَوْنِهِ لَا يَغْفِرُ مِنْ بَيْنِ الذُّنُوب، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

[الشرح]

لما قرر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ توحيد الألوهية وبين بيانًا شافيًا كافيًا أن الله عَزَّ وَجَلَّ إنما خلق الجن والإنس ليوحدوه، وإنما بعث الرسل بتوحيده، فدين الرسل الذي هو واحد اتفقت عليه كلمتهم، هو توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعبادة، وبين أن التوحيد يكون بالاعتقاد، والقصد والإرادة، والقول والعمل بيقين، وأن الشرك الذي يقابله قد يكون بالاعتقاد، وقد يكون بالقصد والإرادة، وقد يكون بالأقوال، وقد يكون بالأعمال، وقد يكون بالشك، أورد أسئلة ثلاثة يوردها المناوئون بالتوحيد، المعترضون على حكم الله عَزَّ وَجَلَّ في أهوائهم، وتضمنت هذه الأسئلة شبهة المشركين بالله عَزَّ وَجَلَّ الذين يقرون بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتشغيبًا.

المشركين بالله عزَّ وجلَّ على الموحدين، هذه الأسئلة الثلاثة أولها: أن المشرك الذي يتقرب إلى بعض المخلوقين إنما يقصد تعظيم الله، لأنه يرى أن الرب أعظم من أن يتقرب إليه بنفسه، بل يجعل بينه وبين ربه وسائط، ووسائل توصله إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكيف كان هذا شركًا وكان موجبًا للمباينة بين أهل الإيمان وأهل هذا الفعل وموجبًا لمقاتلة هؤلاء المشركين.

والسؤال الثاني: هل قبح الشرك ثابت بالعقل والشرع، فيكون قبيحًا دائمًا أم أنه جائز عقلًا وإنما ثبت قبحه بالشرع فيحتمل أن يكون جائزًا في ملة محرمًا في ملة؟

والسؤال الثالث: لماذا كان الشرك مع ما وصفناه في السؤال الأول الذنب الأكبر الذي لا يغفره الله عَزَّ وَجَلَّ؟

هكذا يورد المعترضون على التوحيد، المعترضون على حكم الله عَزَّ وَجَلَّ بأهوائهم، وأما السؤال الأول وهو: أن هؤلاء الذين يتقربون إلى بعض المخلوقات إنما يقصدون تعظيم الله، ويرون أن الله أعظم من أن يتقرب إليه هؤلاء الناس بأنفسهم، هذا السؤال في الحقيقة تضمن الشبهة الكبرى التي يوردها المشركون المقرون بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي أنهم يقولون: إنما يتقرب لهؤلاء المخلوقين الذين لهم فضل وجاه عند الله ليقربونا إلى الله، فكيف تقولون: إنا مشركون بذلك؟!

وتضمن تشغيب أهل الشرك على أهل التوحيد وأنكم يا أهل التوحيد تصفون من يعظمون الله ويوحدون الله بأنهم مشركون، وسيأتي الجواب عن هذا السؤال بالتفصيل إن شاء الله في كلام المصنف، ونعلق عليه، لكن نقول هنا: إنا لا نسلم لكم أن المشرك إنما يعظم الله، ولا يعبد المخلوق، وإنما يتقرب إلى المخلوقين ذوي الفضل والجاه ليقربوه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من باب اتخاذ الوسيلة، وإلا فالمقصود تعظيم الله، لا نسلم لكم ذلك، لم؟ لأن هذا هو صنيع المشركين الذين حكم الله عليهم بالشرك والخلود في النار، وحاربهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، هذا الذي أمر الله به، وهذا هو حق الله؛ أن يكون الدين خالصًا لله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

فدل هذا على أن هذا الصنيع إنما هو من باب اتخاذ الأولياء من دون الله، وهذا هو الشرك، وهم في فعلهم هذا إنما يزعمون أنهم إنما يتقربون بهم إلى الله، فبين الله عَزَّ وَجَلَّ أن هذا ينافي كون الدين خالصًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحكم عليهم بالشرك، والخلود في النار، فكيف يقال: إن هؤلاء يعظمون الله، لأنهم إنما يتخذون الخلق وسائط إلى الله، وأين تعظيم الله في جعل بعض ما لله لمخلوقات الله؟ أين التعظيم أن تجعل شيئًا مما هو خالص لله عَزَّ وَجَلَّ لبعض مخلوقاته؟ والحق أن الذي يفعل ذلك لا يريد تعظيم الله، وإنما يريد تعظيم المخلوق بإعطائه بعض ما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا تأملت كلام من

يقعون في الإشراك وجدت هذا جليًا بينًا، ألا ترى ما في البردة مما جُعل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من خالص حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عندما يقول:

يا أكرمَ الخلْق مـالي من ألوذُ بـه		ســـواكَ عند حدوث الحادث العمم
إن لم تكن آخـذاً يوم المعـاد يـدي		عـفـوا وإلا فـقـل يا زلـة الـقـدم

أو كما قال، مرة قال لي أحدهم: إن البردة ليس فيها شرك، وإنما هي تعظيم لرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت له: لو أنك وضعت بدلًا من قولك: يا أكرم الخلق يا خالق الخلق، هل يستقيم المعنى أم يكون في الكلام خلل وسوء أدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ فقال: بل يستقيم المعنى، ويكون المعنى صحيحًا والكلام مستقيمًا، قلت: إذًا أجبت عن نفسك، فإنك جعلت ما لله لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحقيقة أنكم أردتم تعظيم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللغو فيه الذي نهى عنه وسلبتم ربكم حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأين تعظيم الله في اعتقادي أن بعض المخلوقين يشاركونه في التدبير والتأثير؟ وأين تعظيم في إساءة الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإحسان الظن ببعض المخلوقين؟ أين تعظيم الله في اعتقادي أن الإنسان إذا دعا المخلوق فذاك خير له من أن يدعو الله الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

وأين تعظيم الله في كون الإنسان إذا أصابه الأمر الجلل لا يخطر في قلبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما يخطر في قلبه ويرد على قلبه ذلك المخلوق يدعوه، ويلتجأ إليه، ثم إن المشرك يتقرب إلى الأموات ويجعلهم سببًا والشرع لم يدل على ذلك، بل دل على ضده، بل أبطل كونهم أسبابًا وهم في قبورهم لا يدرون ما يحدث في دنيا الناس، كما يقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة أشرف الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقال له يوم القيامة: فإنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، الأموات في قبورهم لا يعلمون ما يقع في الناس، وهذا يبطل كونهم سببًا وأين تعظيم الله في فعل أمر لم يأذن به نهى عنه نهيًا شديدًا، وحرمه تحريمًا أكيدًا، وأين تعظيم الله في فعل ضد ما خلق الله الناس لأجله، وبعث الرسل به؟ وأين تعظيم الله في رد كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حيث قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وأين تعظيم الله سبحانه في تعطيله عن قربه وسمعه الأصوات وإجابة الدعاء؟ أين تعظيم الله في اعتقاد أنه يحتاج لمن يوصل إليه حاجة خلقه، ويبصره بها ويعلمه بها ويحثه على إعطائها، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وأما السؤال الثاني وهو: هل الشرك قبيح بالعقل والشرع أو قبيح بالشرع؟ وقد عرفنا لم يوردون هذا السؤال، والجواب: أن الشرك بلا شك قبيح عقلًا، قبيح طبعًا، قبيح فطرة، قبيح شرعًا، وكيف لا يكون كذلك وهو عبادة للمخلوق، وترك لتوحيد الخالق، هو أعظم الظلم، إن الظلم كله قبيح شرعًا، وقبيح طبعًا، فطبع الإنسان يحب العدل ويستقبح الظلم، وقبيح فطرة، فأصحاب الفطر السليمة يستقبحون الظلم، وقبيح شرعًا فإن الشرع حرم الظلم تحريمًا عظيمًا، فكيف بأعظم الظلم؟! كيف بأشد الظلم وهو الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! لا شك أن العقول السليمة تأبى الشرك وتستقبحه، وأن الفطر السليمة تأبى الشرك وتستقبحه، وأن ذا الطبع السليم يأبى الشرك ويستقبحه، وأن الشرع بين قبحه، ونهى عنه نهيًا أكيدًا.

وأما السؤال الثالث فجوابه معلوم مما تقدم، وهو: أن الشرك جحد لحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفعل لما يضاد ما خُلق الإنسان من أجله وما اتفقت عليه كلمة الرسل عليهم السلام، فكان أقبح الذنوب، وأعظم الذنوب، فكان حقيقًا بألا يغفره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم يكن صاحبه أهلًا لأن يكون من أهل الجنة، بل هو أهل لأن يكون من أهل النار، نقدم هذا الجواب والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سيجيب عن هذه الأسئلة إجابة بديعة ونعلق على ذلك إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

[المتن]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: قُلْنَا: الشِّرْك شِرْكَان.

[الشرح]

المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قدم وقسم وأجاب، فبدأ الجواب بمقدمة من فهمها سهل عليه أن يعرف جواب هذه الأسئلة، وضمن هذه المقدمة تقسيمًا بديعًا عظيمًا، مبنيًا على الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح رضوان الله عليهم، وذلك يا إخوة أن التوحيد يقوم على الإثبات ونفي المماثلة، التوحيد يقوم على إثبات وجود الله وعلى إثبات الكمالات الواردة في الكتاب والسنة لله، وعلى إثبات استحقاق الله الانفراد بالعبودية، فلا يستحق العبادة إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى نفي مماثلة الله لخلقه، ومماثلة مخلوق لخالقه، هذا الذي يقوم عليه التوحيد، وبالتالي فالتوحيد ينقسم إلى قسمين:

توحيد المعرفة والإثبات، وفي ذلك إثبات وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإثبات أسماء الله وصفاته التي فيها الكمالات اللائقة بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو الكامل كمالًا مطلقًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإثبات الربوبية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتوحيد العبودية الذي يكون فيه عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده، والشرك يضاد التوحيد، فالشرك يقوم على النفي والتمثيل، فيقوم على نفي وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقوم على نفي كمالات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويقوم على نفي استحقاق الله للانفراد بالعبودية قولًا أو عملًا، هذا النفي قد يكون بالقول وقد يكون بالعمل، ويقوم على تمثيل الله بخلقه، وعلى جعل بعض المخلوقين مثل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا فهمت هذا تفهم كلام المصف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[المتن]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: قُلْنَا: الشِّرْك شِرْكَان: شِرْك يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الْمَعْبُود وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِه.

[الشرح]

أي شرك في المعرفة والإثبات، يتعلق بالربوبية، وبالأسماء والصفات، وبعبارة أخرى: يتعلق بأفعال الله وبأسمائه وصفاته، فهو يضاد توحيد الربوبية ويضاد توحيد الأسماء والصفات.

قال: **(وَشَرَكَ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَتِه)**، أي شرك في العبادة يتعلق بالألوهية، أي بإفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة.

قال: **(وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِه)**، أي أنه قد يقر المخلوق، قد يقر بأسماء الله وصفاته، ولا يشرك فيها، وقد يقر بربوبيته الله ولا يشرك فيها، لكنه يشرك في العبادة فيكون مشركًا، وسيأتي إن شاء الله وتقدم معنا أيضًا أن المشرك في الألوهية لا بد من أن يكون مشركًا في الربوبية أو أن يكون عنده نقص في إثبات الربوبية، وقد تقدم بيان هذا وتفصيله، ويأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

[المتن]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

وَأَمَّا الشِّرْكُ الثَّانِي وَهُوَ الَّذِي فَرَغْنَا مِنْ الْكَلَامِ فِيهِ، وَأَشَرْنَا إِلَيْهِ الْانَ، وَسُنَشْبِع الْكَلَامُ فِيهِ أَنَّ شَاءَ اللهُ - تَعَالَىٰ -.

[الشرح]

أما الشرك الثاني وهو الشرك في الألوهية فمن أول الكتاب والمصنف يقرره تقريرًا بديعًا، ثم إنه سيعود إليه في بعض تفاصيل العبادة فيما سيأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أَمَّا الشِّرْكُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ نَوْعَانِ)**، الشرك الأول الذي هو متعلق بالمعرفة والإثبات هو نوعان.

(أَحَدُهُمَا: شِرْك التَّعْطِيلِ)، التعطيل هو النفي والإنكار، وأقبحه نفي وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنه: نفي انفراد الله عَزَّ وَجَلَّ بأفعاله، نفي الربوبية، ومنه نفي كمال الله بنفي صفاته وأسمائه أو بعضها.

قال: **(وَهُوَ أَقْبَحُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، كَشِرْك فِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾)**، فعطل الله عن وجوده، أنكر رب العالمين، أنكر الله وأنكر ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: **(وقال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾، وَالشِّرْكُ)**، يعني والشرك في الألوهية، **(وَالشِّرْكُ وَالتَّعْطِيل مُتَلَازِمَان، فَكُلّ مُشْرِك مُعَطِّل، وَكُلُّ مُعَطِّلٍ مُشْرِكٍ)**، لا يمكن أن يكون المشرك في الألوهية موحدًا في الربوبية توحيدًا كاملًا، بل لا بد من نقص في توحيد الربوبية عنده، المشرك قد ينفي توحيد الربوبية لأنه ينفي وجود الله أصلًا، وقد يقر بتوحيد الربوبية في الجملة، لكن لا بد من أن يكون إقراره بذلك ناقصًا، هذا معنى: أن كل مشرك معطل وكل معطل مشرك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لَكِنْ الشِّرْكِ لَا يَسْتَلْزِمُ أَصْل التَّعْطِيلِ)**، الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، لا يستلزم الشرك أن يكون المشرك جاحدًا وجود الله، بل قد يكون المشرك مقرًا بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يستلزم الشرك أعني الشرك في الألوهية أن يكون المشرك جاحدًا للربوبية، بل لو سُئل من

خلقك؟ يقول: الله، لو سُئل من يرزقك؟ يقول: الله، كما تقدم معنا، فهذا معنى أنه لا يستلزم أصل التعطيل، لكن لا يمكن أن يكون الإثبات عند المشرك على وجه الكمال، إثبات الربوبية على وجه الكمال، فهذا معنى كلام المصنف.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَلْ قَدْ يَكُونُ الْمُشْرِكُ مُقِرًّا بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَصِفَاتِهِ) من حيث الجملة، (وَلَكِنَّه مُعَطِّلَة حَقّ التَّوْحِيد)، يعطل حق التوحيد يعني توحيد الألوهية، مع نقص في توحيده للربوبية، في توحيد الربوبية عنده، لا يمكن أن يكون ذلك عنده على وجه الكمال، وإيمانه بالأسماء والصفات هذا أيضًا لا بد فيه من نقص، لأن الأسماء والصفات إنما هي مبنية على التلقي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (وَأَصْل الشِّرْك وَقَاعِدَتُه الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا: هُوَ التَّعْطِيلُ)، أصل الشرك الذي يقوم عليه الشرك وينبني عليه الشرك هو النفي مع التبديل، وسياتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

(وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: تَعْطِيل الْمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعَه)، أي تعطيل المخلوق عن خالقه، الله عَزَّ وَجَلَّ صنع المخلوقات، ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، لكن الأفضل أن يقال: الخالق، وأن يقال: المخلوق، فالقسم الأول: تعطيل المخلوق عن خالقه، وهؤلاء هم الملاحدة الذين ينفون وجود الله، ولا يثبتون خالقًا للمخلوقات، وهم في هذا في الحقيقة مباهتون للعقل، كيف لا يكون لهذه المخلوقات خالق؟! هذه المخلوقات التي خلقت على نسق بديع، لو نظرنا فقط إلى الإنسان كيف خلق هذا الإنسان على هذا النسق، رأس بما فيه، وجسد بما فيه، ما نجد إنسانًا على خلقة وإنسان على خلقة أخرى، وأجهزة عجيبة، الكلية فقط هذا العضو الصغير ما وظيفته في جسم الإنسان؟ وماذا يقع للإنسان لو تعطل؟ وكم يحتاج الأطباء من أجهزة من أجل أن يجعلوا هذا العضو إذا أصابه خلل من أجل أن يجعلوه أن يقوم ببعض عمله.

هذا يكفي ليعلم الإنسان أنه لا بد لهذه المخلوقات من خالق مدبر، وهم في الحقيقة لا يمكن أن يستقروا على نفي الخالق، ولذلك بعضهم يقول: إن الذي خلق المخلوقات هو الطبيعة، وبعضهم يقول: العلة الأولى، وقد تقدم الكلام عن هذا وشرحناه، هم في الحقيقة يريدون أن يفروا من إثبات وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيعطلون المخلوقات عن الخالق لأنهم يعلمون أنهم لو أثبتوا الخالق للزمهم

أن يثبتوا وجود الله، لا يمكن أن يكون الخالق لهذه المخلوقات على نظامها وبديع خلقها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (الثَّانِي: تَعْطِيل الصَّانِعِ عَنْ كَمَالِهِ الثَّابِت لَهُ)، الثاني: تعطيل الصانع أي الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن كماله الثابت له، هؤلاء لا ينفون وجود الله، بل يقرون بوجود الله، ولكن ينكرون كماله، بإنكار صفاته وأسمائه أو بعضها، فيعطلون الله عَزَّ وَجَلَّ عن بعض كمالاته أو عن كلها، مع إثباتهم وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الثَّالِثُ: تَعْطِيل مُعَامَلَتُه عَمَّا يَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ)، الثالث: هو نفي استحقاق الله عَزَّ وَجَلَّ الانفراد بالعبودية، لأن هذا في الحقيقة أشكل على بعض الناس، وقالوا: إن هذا ليس من شرك التعطيل، وإنما هذا من النوع الثاني أو ليس من شرك المتعلق بالمعرفة والإثبات، وإنما هو من الشرك الثاني المتعلق بالعبودية، لا، هو هنا لا يريد العبودية، وإنما يُريد نفي استحقاق الله الانفراد بالعبودية، ولذلك كان من الشرك المتعلق بالمعرفة والإثبات، لأنه تعطيل لله عن استحقاق الانفراد بالعبودية، فهو نفي لاستحقاق الله عَزَّ وَجَلَّ الانفراد بالعبودية.

(وَمَنْ هَذَا شِرْكُ أَهْل الْوَحْدَة)، ومن هذا أي من شرك التعطيل، من شرك التعطيل شرك أهل الوحدة، عندنا أهل الوحدة وعندنا أهل الاتحاد، وعندنا أهل الحلول، كلهم مشركون أقبح الشرك، أهل الوحدة يقولون: الخالق والمخلوق واحد، فليس ثمة خالق ومخلوق، وإنما هم واحد، فيرون الوحدة بين الخالق والمخلوق أصلًا من الأصل، لا فرق بين الخالق والمخلوق من الأصل، فليس ثمة خالق ومخلوق، بل هم واحد، وأهل الاتحاد يرون أن هناك فرقًا بين الخالق والمخلوق، وأن هناك خالقًا ومخلوقًا، لكنهم اتحدوا، يعني الأصل أن هناك خالقًا ومخلوقًا، هذا في الأصل، ثم اتحدوا، وهذا قبيح كالذي قبله، الفرق بينهم أن أهل الوحدة لا يثبتون فرقًا بين الخالق والمخلوق من الأصل، وأهل الاتحاد لا يثبتون فرقًا بين الخالق والمخلوق في المآل، وإلا فالأصل هناك فرق عندهم، وأهل الحلول هم الذين يقولون: إن الله حل في مخلوقاته.

حتى يستحل بعضهم أن يقول: أنا الله، لأنه يعتقد أن الله حل فيه، أو يقول: الله في جبتي، أو الله في ثوبي، لأنهم قبحهم الله يعتقدون أن الله حل في مخلوقاته او بعض مخلوقاته، كما يعتقد النصارى أن الله حل في عيسى عليه السلام، فهذا شرك أهل الوحدة هذا فيه تعطيل، فيه تعطيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تعطيل المصنوع عن صانعه وتعطيل الصانع عن كمالاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمِنْه شِرْك الْمَلَاحِدَة الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ وَأَبَدِيَّتِه، وَإِنْ الْحَوَادِث بِأَسْرِهَا مُسْتَنِدَةٌ إلَىٰ أَسْبَابٍ وَوَسَائِط اقْتَضَتْ إيجَادُهَا، وَيُسَمُّونَهَا الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ)**، هذا تقدم شرحه وبيانه، والملاحدة الذين يقولون بقدم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى العلل العلة الأولى وما تفرع عنها، وقد تقدم شرح هذا، وكله سفسطة وفلسفة لا معنى لها، وقد تقدم بيان ذلك وسقوطه وتهافته فيما تقدم من كلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمِنْه شِرْك مُعَطِّلَة الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، كَالْجَهْمِيَّة)**، من شرك التعطيل: شرك معطلة الأسماء والصفات الذين ينتسبون إلى الإسلام، ينتسبون إلى الإسلام لكنهم يقعون في شرك التعطيل، فيعطلون الله عَزَّ وَجَلَّ عن كمالاته التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فينفون الأسماء والصفات أو يثبتون الأسماء مجردة بلا صفات، وينفون الصفات، أو ينفون بعض الصفات، قال: **(كَالْجَهْمِيَّة)**، الجهمية نفوا الأسماء والصفات، فهم المعطلة تعطيلًا كاملًا، لأنهم ينفون الأسماء وينفون الصفات، فتعطيلهم كامل.

(كَالْجَهْمِيَّة وَالْقَرَامِطَة)، القرامطة ينفون الإثبات والنفي، في باب الأسماء والصفات ينفون الإثبات وينفون النفي، فنفوا الطرفين، يقولون: لا نقول يسمع ولا نقول لا يسمع، لا نقول: يعلم ولا نقول لا يعلم، فابتدعوا مذهبًا نفوا فيه الطرفين معًا الإثبات والنفي وهذا تعطيل، هذا في الحقيقة قول بعدم وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في حقيقته.

(وَغُلَاة الْمُعْتَزِلَة)، المعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة على أنها أعلام مجردة، وجردوها من الصفات، ونفوا الصفات، إذًا يا إخوة لا نقول: إن المعتزلة أثبتوا الأسماء هكذا مطلقًا، لا، المعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة، أعلام مجردة، وسلبوا الصفات التي فيها، هذا من جهة إثباتهم للأسماء، فإثباتهم للأسماء ناقص

يا إخوة، لأنهم يثبتونها أعلامًا مجردة، ويسلبونها الصفات التي فيها، وينفون الصفات، فتعطيلهم أقل من تعطيل الجهمية، والكل قبيح، فالمعتزلة يقولون: إن الله سميع بلا سمع، عليم بلا علم، وغلاة المعتزلة يردون الأسماء إلى الذات، فيقولون: الله عليم وعلمه ذاته، الله سميع وسمعه ذاته، فالحقيقة أنهم لا يثبتون إلا الذات، لا يثبتون صفة زائدة عن الذات، وإنما يثبتون الأسماء ويردونها إلى الذات، يقولون: سميع وسمع ذاته، عليم وعلمه ذاته، فهم في الحقيقة إنما يثبتون الذات فقط.

ومن معطلة الأسماء والصفات: من يثبتون بعض الصفات وينفون أكثرها، فهم معطلة في الحقيقة، وذلك كالأشاعرة والماتريدية، الأشاعرة والماتريدية يثبتون بعض الصفات، وينفون أكثر الصفات، وهؤلاء في الحقيقة معطلة، لأنهم عطلوا الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن كماله الثابت له، الله عَزَّ وَجَلَّ له الكمال المطلق، وأسماء الله وصفاته كمالات ثبتت لله بالكتاب والسنة، وأجمع عليها سلف الأمة، فكل من نفى الصفات فقد عطل الله عَزَّ وَجَلَّ عن كمالاته الثابتة له، وكل من نفى شيئًا من الصفات فقد عطل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن بعض كمالاته الثابتة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيكون قد وقع في شرك التعطيل.

هذا ما يتعلق بهذا القسم والنوع الأول من القسم من الشرك الأول الذي هو شرك متعلق بالمعرفة والإثبات.

من الدرس القادم في دروس العصر نبدأ بدروس الحج، حيث نشرح نُكمل شرك كتاب الحج من صحيح الإمام مسلم، وأما درس فجر السبت فسيبقى كما هو في شرح تجريد التوحيد المفيد وذلك لعظيم الحاجة لهذا العلم، ولا ينبغي للمؤمن أن يخلي نفسه من علم التوحيد، بل هذا العلم مما يكرر، هذا العلم لا يترك، ولا يستغنى عنه، بل يعاد إليه مرة بعد أخرى، وكلما فرغ الإنسان من دراسة علم التوحيد ينبغي أن يعود إليه، التوحيد فريضة العمر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعث إلى أن مات وهو يقرر التوحيد ويدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كل فريضة من فرائض الدين إلا الشرك لم تكن موجودة في مدة البعثة كلها بل في أول البعثة ما كانت موجودة إلا التوحيد والنهي عن الشرك، كان موجودًا من أول البعثة، فرض من أول البعثة إلى أن مات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الصلاة وهي أعظم أعمال المؤمن لم تكن موجودة في أول البعثة، ولم تفرض في أول البعثة، ولهذا يا إخوة هؤلاء الذين يقولون: أنتم ما عندكم إلا التوحيد، إلا التوحيد كأنهم تتهمون الناس بأنهم مشركون، هؤلاء في الحقيقة طاعنون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعث وهو يقرر التوحيد، ويدعو إلى التوحيد، وعندما هاجر إلى المدينة كان يقرر التوحيد، ويدعو إلى التوحيد إلى أن مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يسير على سبيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب أن يعظم التوحيد وأن يفرح بالتوحيد وأن يقرر التوحيد وأن يكرر الكلام في التوحيد، ولذلك يقرر علماء أهل السنة والجماعة أن علم التوحيد علم لا يترك، بمعنى أنه يكرر مرة بعد أخرى.

فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا ممن يعظمون التوحيد، ويقررونه ويكررونه ويدعون إليه، ويصبرون على ما يصيبهم في طريق الدعوة إلى التوحيد، بارك الله في الجميع وتقبل الله من الجَمِيعْ.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَسَلَّمَ.